
أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
صفية بنت أبي عبيد
www.dawahmemo.com
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(٦)

صفية بنت أبي عُبيد

* قال العجلي :

صفية بنت أبي عبيد : مدنية ، تابعية ، ثقة .

* وقال ابن كثير :

كانت صفية بنت أبي عبيد من الصالحات العابدات ، وهي زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله مكرماً ومحباً لها في حياته ـ رضي الله عنه ـ .

صَفيَّةُ بنتُ أبي عُبَيْد

الصَّالِحَةُ زَوْجُ التَّقِيِّ :

* صفيةُ بنت أبي عُبيد بن مسعود الثقفيّة[1] ، زوج عبد الله بن عمر بن الخطاب ، الإمام القدوة شيخ الإسلام ، أبي عبد الرحمن القرشيّ العدويّ .

* وصفيةُ بنت أبي عبيد إحدى النّساء التّابعيات الصّالحات العابدات ؛ ممن جمعن الفضل من جميع أطرافه ، وكانت من خيرة الزّوجات اللاتي يُعِنّ أزواجهن على المضيّ في طاعة الله عزّ وجلّ ، وقد اقتبستْ من أخلاق زوجها وهديه ما جعلها من عِلْيةِ نساء عصر التّابعين .

* فقد كان زوجها ابنُ عمر ـ رضي الله عنهما ـ يَسْردُ الصّوم[2] ،

(١) الطبقات (٨/٤٧٢) ، وسير أعلام النبلاء (٣/٢٣٨) ، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٣٠) . أمّا أبو صفيّة فهو : أبو عُبيد بن مسعود بن عمرو الثقفيّ ، أسلم في عهد رسول الله ﷺ ، واستعمله عمر ـ رضي الله عنه ـ سنة (١٣ هـ) ، وسيّره على جيش كثيف إلى العراق ؛ وإليه يُنسب جسر أبي عبيد ، وكانت الوقعة عند الجسر ، وقتل يومئذ أبو عبيد شهيداً مع ثمانمئة من المسلمين ، والجسر بين القادسية والحيرة ، وأخبار شجاعته مشهورة ، رحمه الله .

(٢) سرد الصيام هو متابعته والمداومة عليه . وقد نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصيام =

وهو أحد الصَّحابة السَّاردين للصَّوم منهم : عمر وابنه ، وأبو طلحة الأنصاري ، وحمزة بن عمرو ـ رضي الله عنهم ـ .

* ومن النِّساء السَّاردات للصَّوم عائشة أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ .

* وعبد الله بن عمر أحد السَّبعة الذين هم أكثر الصَّحابة الكرام رواية عن النَّبي ﷺ وهم :
أبو هريرة رضي الله عنه روى (٥٣٧٤) حديثاً .
ثم ابنُ عمر رضي الله عنه روى (٢٦٣٠) حديثاً .
ثم أنسُ بن مالك رضي الله عنه روى (٢٢٨٦) حديثاً .
ثم عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها روت (٢٢١٠) أحاديث .
ثم عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه روى (١٦٦٠) حديثاً .
ثم جابرُ بن عبد الله رضي الله عنه روى (١٥٤٠) حديثاً .
ثم أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه روى (١١٧٠) حديثاً .

* وزوجها كذلك أحد العبادلة الأربعة من الصَّحابة الكرام ؛ أولي الفضل والفضائل ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ .

= رحمةً بالنَّاس وإبقاء عليهم ، فقال ﷺ : « لا تواصلوا ، فأيكم إذا أراد أن يُواصل فليواصلْ حتّى السَّحَر » قالوا : فإنك تواصل يا رسولَ الله ! قال : « إني لستُ كهيئتكم ، إني أبيتُ لي مُطْعِم يُطعمني وساقٍ يسقين » . رواه البخاري (١٩٦٣) . أي يعطيني قوة الآكل والشارب ، ويفيض عليّ ما يسدّ مسدّ الطعام والشراب .
وأفضل الصيام صوم داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويُفطر يوماً ، أي صام نصف الدهر . انظر البخاري (١٩٧٩) و (١٩٨٠) .

الرَّاوِيَةُ الثِّقَةُ :

* في كتابه النَّفيس « الثِّقات » ذكرها ابنُ حِبَّان ، وعدّها من راويات الحديث الثِّقات ؛ اللاتي يؤخذ عنهن الحديث الشَّريف .

* وقال عنها العجلي : صفيةُ بنت أبي عبيد مدنيّةٌ تابعيّةٌ ثِقَة .

وصفية ـ رحمها الله ـ رأتْ سيّدنا عمر بن الخطاب ، وروتْ عنه ، ولها معه أخبار ، كما رأتْ ثلاثاً من أمّهات المؤمنين وروت عنهن ، وهن : عائشة بنت الصّدّيق ، وحفصةُ بنت عمر ، وأمُّ سلمة رضي الله عنهن . كما روتْ عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصديق[1] .

* وقد روى عن صفيّة جماعة من أكابر التّابعين وثقاتهم ، وممن عرفوا بالعلم والفضل بين أقرانهم منهم : ابن زوجها سالم بن عبد الله بن عمر ، ونافع مولى زوجها ، وعبد الله بن دينار ، وعبد الله بن صفوان بن أمية ، وموسى بن عقبة[2] وغيرهم .

---

(١) أحد فقهاء المدينة السّبعة وهم : سعيد بن المسيّب المخزوميّ (٩٤ هـ) ، عروة بن الزّبير (٩٤ هـ) ، أبو بكر بن عبد الرحمن (٩٤ هـ) ، القاسم بن محمّد (١٠٦ هـ) ، عبيد الله بن عبد الله (٩٨ هـ) ، خارجة بن زيد (١٠٠ هـ) ، وسليمان بن يسار (١٠٧ هـ) ، وقد نظمهم محمد بن علان الصّديقيّ الشّافعيّ صاحب كتاب « دليل الفالحين لطرق رياض الصّالحين » فقال :

عبيدُ الله ، خارجةٌ ، وعروةْ ... أبو بكر ، سعيدٌ ، ثم سالمْ
سليمانٌ ، هم فقهاءُ طيبةْ ... بعهد التّابعين أولي المكارمْ

وكان بعض العلماء يعد سالم بن عبد الله بن عمر من الفقهاء السّبعة ، وقد ذكره ابن علان بدلاً من القاسم بن محمد .

(٢) موسى بن عقبة بن أبي عيّاش الأسديّ التّابعيّ ، أبو محمّد ، مولى آل الزّبير ، روى =

* وقد روى لها الإمام مسلم في صحيحه ، وروى لها أبو داود والنَّسائي في سننهما .

* ومن مروياتها ما روته عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها ، عن النَّبيِّ ﷺ : « لو نجا أحدٌ من ضَمَّةِ القَبْر لنجا منها سعد[1] » .

* ومما يشبه هذا ما رواه نافع عنها قال : أتينا صفيَّةَ بنتَ أبي عبيد ، فحدثتنا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إن كنتُ لأرى لو أنَّ أحداً أُعْفيَ من ضغطة القبر لعفي سعد بن معاذ ولقد ضُمَّ ضَمَّةً[2] » .

* وعن موسى بن عقبة عن نافع قال : أخبرتني صفية بنت أبي عُبيد أنَّها سمعتْ عمر بن الخطاب يقرأ في صلاة الفجر سورة أصحاب الكهف[3] .

* * *

زَوَاجُهَا وصَدَاقُهَا :

* ذكر الإمامان الجليلان الطَّبريُّ وابنُ كثير رحمهما الله ، أنَّ عبدَ

= عن عدد من الأكابر ، وروى عنه عدد من كبار علماء التابعين أيضاً . قال ابن سعد : كان ثقةً ثبتاً ، وكان عالماً بالسِّيرة النَّبوية ، وهو من أهل المدينة ، له كتاب « المغازي » . قال عنه الإمام أحمد : عليكم بمغازي الرجل الصَّالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي . وقد وثَّقه ابن معين وأبو حاتم ، وكان موسى فقيهاً محدثاً من أهل الفتوى ، وذكره ابن حبان في الثِّقات . توفي بالمدينة المنوَّرة سنة (١٤١ هـ) رحمه الله تعالى . (تهذيب التهذيب : ١٠/٣٦٠ ـ ٣٦٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (١/١٩١) وسعد : هو سيِّدنا سعد بن معاذ الأنصاري الأشهلي رضي الله عنه .

(٢) مجمع الزوائد (٣/٥٠) .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٤٧٢) .

الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ تزوّج صفيّةَ بنتَ أبي عبيد في حياةِ أبيه عمر ، وذلك في سنة (١٦ هـ) .

* وذكر ابنُ عمر قال : أصدق عني ـ أبي ـ عمر بن الخطاب صفية بنت أبي عبيد أربعمئة درهم ، وزدتُ أنا سِرّاً مئتين .

* وحدث نافع ـ رحمه الله ـ قال : تزوّجَ ابنُ عمر ـ رضي الله عنهما ـ صفيةَ بنت أبي عبيد على أربعمئة درهم ، فأرسلت إليه : إنّ هذا لا يكفينا ، فزادها مئتين سِرّاً من عمر .

* وقد بارك الله سبحانه وتعالى في هذا الزّواج الطّيّب ، فأثمر عن نسماتٍ طيّبةٍ كريمةٍ ، إذ ولدت لعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ خمسة ذكور ؛ كانوا من أعلام العلماء وهم : أبو بكر ، أبو عبيدة ، واقد ، عبد الله ، وعمر ؛ كما ولدت له من الإناث حفصة وسَوْدة[1] .

* وقد أحسنتْ صفيّة ـ رحمها الله ـ تربية أولادها وبناتها ؛ ليسيروا على هدي الأُسرة العُمريّةِ ، ولهذا كان زوجها يجلّها ويحترمها وينزلها من قَلْبِهِ مكاناً رحباً ، وقد شهد لصفية بالتُّقى والصَّلاح الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ إذ قال : كانتْ صفيّة بنت أبي عبيد من الصّالحات العابدات ، وهي زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله لها مكرماً ومحبّاً في حياته[2] ـ رضي الله عنه ـ .

* * *

(١) الطبقات (٤/١٤٢) ، وسير أعلام النبلاء (٣/٢٣٨) .

(٢) البداية والنهاية (٨/٢٩٢) .

عُمَرُ وصَفِيَّةُ :

* كان سيِّدُنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يجلُّ زوجةَ ابنه صفية ويقدِّرها ، وكان ينزلها المكانة التي تستحق ، ولا يمكن له أنْ يؤثرها عمن هي أكبر شأناً منها ؛ لقرابتها منه أو لمكانتها ومكانة أبيها أو حتى ابنه عبد الله ؛ ولكنَّه كان يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ ، ففي سنة (١٦ هـ) وفي بداية زواج صفية ، فتح الله عزَّ وجلَّ على المسلمين ، وغنموا بعض الغنائم من البلاد التي فتحوها في المشرق ، وأُتي بالغنائم إلى المدينة المنورة ، وأُتي عمر ـ رضي الله عنه ـ بمروط ، وكان فيها مِرْط[1] جيد واسع .

فقال بعض الحاضرين عند عمر ـ وقد أُعْجِبَ بالمِرط ـ ، إنَّ هذا المرط لثمنُ كذا وكذا ، فلو أرسلتَ به إلى زوجةِ عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد ، وذلك حِدْثان ـ أول زواجها ـ ما دخلتْ على ابن عمر ، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ :

أبعثُ به إلى مَنْ هو أحقّ به منها ، أمّ عمارة نسيبة بنت كعب ـ رضي الله عنها ـ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يوم أحد : « ما التفتُ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني »[2] .

---

(١) « المِرط » : كساءٌ غير مخيط من صوف أو خز يؤتزر به ، وكانت النِّساء ـ عصر ذاك ـ تلبس المِرط ؛ والجمع مروط .

وروت عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت : كانت النساء تنصرف من صلاة الصُّبح ملتفعات بمروطهن .

وروى ابن سعد في « الطبقات » والشَّافعي في « المسند » أن رسول الله ﷺ قام في ليلة باردة فصلى في مرط امرأة من نسائه .

(٢) الطبقات (٨/٤١٥) ، والمغازي (١/٢٧١) ، وأنساب الأشراف (١/٣٢٥ و ٣٢٦) ، وحياة الصحابة (٢/٨٧ و ٨٨) .

مِنْ أَخْبارِ صَفِيَّةَ وزَوْجِهَا :

* لصفيَّةَ بنتِ أبي عبيد ـ رحمها الله ـ أخبارٌ وصيّةٌ مع زوجها ابن عمر ، وأخبارها تدلُّ على مكانتها وفضـلها ، من ذلك ما أورده الإمام الذَّهبيُّ ـ رحمه الله ـ قال :

أعطى عبد الله بن جعفر ابن عمر بنافع[1] عشرة آلاف ، فدخل على صفية امرأته فحدَّثها ، قالت : فما تنتظر ؟

قال : فهلّا ما هو خيرٌ من ذلك ، هو حُرٌّ لوجهِ الله[2] .

* وكان ابنُ عمر ـ رضي الله عنهما ـ ينوي قول الله عزَّ وجلَّ في الذِّكْرِ الحكيم : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

وكان ابن عمر يحبُّ مولاه نافعاً ولا يقدِّمُ عليه أحداً قطّ .

* وكانت صفيةُ تقدِّمُ لزوجها كل خير ، وتقوم على خدمته أحسن قيام وأفضله ، ذكر نافع ـ رحمه الله ـ حُسْنَ رعايتها لزوجها فقال :

مرض ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، فاشتهى عنباً أول ما جاء ، فأرسلتِ امرأته ـ صفية ـ بدرهم ، فاشترت به عنقوداً ، فاتَّبع الرَّسول سائلٌ ، فلما دخل قام السَّائل على الباب ، فقال ابن عمر : أعطوه إياه .

---

(١) نافع : أبو عبد الله المدني ، مولى عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، ثقةٌ ثبتٌ فقيهٌ مشهور ، مات سنة (١١٧ هـ) رحمه الله . (تقريب التهذيب : ٢/٢٩٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢١٧ و ٢١٨) .

ثم بعثتْ بدرهم آخر ، فاتبعه السَّائل ، فلما دخل وقف السَّائل ثانيةً ، فقال ابن عمر : أعطوه إياه ، فأعطوه .

وتكررتِ الحادثةُ ثلاث أو أربع مرات ، فأرسلتْ صفيّةُ إلى السَّائل تقول : والله لئن عُدْتَ ، لا تصيب مني خيراً ؛ ثم أرسلتْ بدرهم آخر فاشترت به ، ومن ثم أكله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ[1] .

* * *

صَفِيَّةُ وَدُرُوسٌ في السَّخاء :

* كان صحابةُ رسول الله ﷺ ينفقون الأموال ، وما أعطاهم الله عزَّ وجلَّ في سبيله ، وفي المواقع التي ترضيه . وكان الإنفاقُ أحبَّ إليهم منْ كلِّ شيء ، وابن عمر عليه سحائب الرضوان واحد من الأجواد الأخيار ، إذ كان يمنعُ نفسه ليعطي الفقراء ، معلِّماً بذلك زوجه صفية دروس الكرم والإنفاق والبذْل في ذات الله عزَّ وجلَّ .

* روى سعيدُ بن أبي هلال أنَّ عبدَ الله بنَ عمر ـ رضي الله عنهما ـ نزل الجُحفة[2] وهو شاكٍ ـ مريض ـ فقال : إني لأشتهي حيتاناً ـ سَمكاً ـ فالتمسوا له فلمْ يجدوا إلا حوتاً واحداً ، فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد ، فصنعته ثمّ قربته إليه ، فأتى مسكينٌ حتى وقف

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٢٢٠) بتصرف يسير جداً .

(٢) « الجحفة » : ميقات أهل الشّام ومصر والمغرب ، وهي قرية كبيرة كانت عامرة على طريق المدينة على نحو سَبْع مراحل من المدينة ، ونحو ثلاث مراحل من مكة ، وهي قريبة من البحر ، ومن هذا المكان يحرم الحجاج . (تهذيب الأسماء واللغات : ٣/٥٨) .

عليه ، فقال له ابن عمر : خذه .

فقال أهله ـ امرأته ـ : سبحان الله! قد عنّيتنا ـ أتعبتنا ـ ومعنا زاد نعطيه .

فقال : إنَّ عبد الله يحبُّه .

فقالت صفيةُ : نعطيه درهماً فهو أنفع له منْ هذا ، واقْضِ أنتَ شهوتَكَ منه .

فقال : شهوتي ما أُريد[1] .

* وبهذا الدّرس اللطيف علَّم ابن عمر صفية أنَّ إطعام المساكين من أعلى وأرفع أنواع الفضائل ، كما علَّمها أنَّ تربيةَ النَّفس تحتاج إلى حَجْبِ ما تشتهيه ، فهذا أقربُ للتّقوى والبرّ عند الله عزَّ وجلَّ .

* وقد كان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لا يأكلُ طعاماً إلّا وعلى خوانه يتيم أو مسكين ؛ حتى أضرَّ ذلك بجسمه ، وحتى أنَّ صفيَّة عوتبتْ فيه ، فقيل لها : أما تلطفين ـ تبرّين ـ بهذا الشيخ ؟ .

فقالت : فما أصنعُ به ؟ لا تصنعُ له طعاماً إلا دعا عليه من يأكله . فأرسلتْ إلى قومٍ منَ المساكين كانوا يجلسون في طريقهِ إذا خرج من المسجد ، فأطعَمَتْهم وقالت لهم : لا تجلسوا بطريقهِ . ثم جاء ـ ابن عمر ـ إلى بيته : فقال : أرسلوا إلى فلان وإلى فلان ، وكانتِ امرأته أرسلتْ إليهم بطعام وقالت : إنْ دعاكم فلا تأتوه .

(١) الحلية (١/٢٩٧) ، وصفة الصفوة (١/٢٩١) .

فقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : أردتم أنْ لا أتعشى الليلة ، فلم يتعشَ تلك الليلة[1] .

* وأخرج أبو نُعيم في « الحلية » عن حمزةَ بن عبد الله بن عمر قال : لو أنَّ طعاماً كثيراً كان عند عبد الله بن عمر ، ما شبع منه إلا بعد أن يجد له آكلاً ، فدخل عليه ابن مطيع يعوده ، فرآه قد نحل جسمه ، فقال لصفيّة : ألا تلطفيه ؟ لعلّه أن يرتدَّ إليه جسمه فتصنعي له طعاماً ؟! .

قالت : إنّا نفعل ذلك ، ولكنّه لا يدع أحداً من أهله ولا مَنْ يحضره إلا دعاه عليه ؛ فكلِّمْهُ أنتَ في ذلك ! .

فقال ابنُ مطيع : يا أبا عبد الرحمن ، لو اتخذتَ طعاماً فرجع إليك جسمك .

فقال : إنَّه ليأتي عليَّ ثماني سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة ، فالآن تريد أنْ أشبعَ حين لم يبقَ من عمري إلا ظِمءَ حمار[2] .

* * *

وَداعاً زَوْجَ التَّقيِّ :

* أوردتِ المصادرُ أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، آخر من توفي بمكة من الصَّحابةِ ،وكانت وفاته في سنة (٧٣ هـ) .

---

(١) الحلية (١/٢٩٨) ، وصفة الصفوة (١/٢٩٣) .

(٢) أراد ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ من قوله : إنّه لم يبقَ من عمري إلا يسير ، وقوله « ظمء الحمار » : كناية عن الشَّيء اليسير ، لأنَّ الحمار أقلُّ الدَّوابِّ صبراً عن الماء . والعرب تستخدم كثيراً من مثل هذه العبارات في كلامها .

* أمّا صفيةُ بنتُ أبي عبيد زوجه فلا ندري بالتَّحديد متى كانت وفاتها ، إلا أنَّ الدّلائل تشيرُ إشارةً واضحةً إلى أنّها توفيتْ بعد زوجها بزمنٍ ، بدليل ما ذكره الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في الموطأ عن نافع : أنَّ صفيةَ بنت أبي عبيد اشتكتْ عينها وهي حادٌّ على زوجها عبد الله بن عمر ، فلم تكتحل حتى كانت عيناها ترمصان(١) .

* وفي هذا دليل على أنّها قد عاشت بعد سنة (٧٣ هـ) ، أي بعد وفاة زوجها مدة من الزّمن ؛ حتى بلغت من الكبر عتياً ، واشتعل رأسها شيباً ، وأضحت طاعنة في السِّنّ ، فقد أخرج ابن سعد عن فُليح بن نافع ـ ما يتوافق مع هذا ـ فقال : كانت صفية عجوزاً ، فكانت تطوف بين الصَّفا والمروة على راحلة .

* وبعد ، فهذه صفية بنت أبي عُبيد ، المرأةُ القدوة ، والأمُّ الكريمة ، والزَّوج العطوف ، وبمثلها فلتقتدي النِّساء ؛ رحمها الله .

* * *

---

(١) الحديث أخرجه مالك في الموطأ (٢/٥٩٩) في الطَّلاق ، باب : ما جاء في الإحداد . ويقول الفقهاء في المرأة يتوفى عنها زوجها :
إنّها إذا خشيتْ على بصرها من رَمَدٍ بعينيها أو شكوى أصابتها فإنّها تكتحل ، وتتداوى بالكحل ، لأنَّ القصد إلى التّداوي لا إلى التّطيب ، وإنّما الأعمال بالنّيات . وقد نُهيت المرأةُ الحادّة عن الزّينة لا عن التّداوي . والله أعلم .